

مجموعة المحاضرات الخاصة  
بالدكتور / مجدى ابوالنور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدينة الإسلامية على مسر العصر —

توجد المدينة الإسلامية في إسبانيا وشمال إفريقيا وال سعودية والعراق وإيران والهند واندونيسيا .

وللاسف تكاد تكون معلوماتنا عن تلك **الصور للمدينة الإسلامية محدودة لبعضها ومنعدمة للبعض الآخر** .

إلا أنه لدينا معلومات وبقايا مادية للم هيكل العام للمدينة العربية الإسلامية مثل القاهرة القديمة وما سبقها من عواصم إسلامية ( الفسطاط - العسقلان - القطائع ) كذلك مدينة جدة وبغداد وبقايا مدينة سواكن بالسودان .

ونظر للاقاف الشاسعة التي انتشر بها الإسلام لذا لا يمكن أن تخيل أن الحياة الحضرية أخذت نفس الشكل في تلك المدن المتراصة . ومن المؤكد علمياً أن اختلاف المدينة الإسلامية العربية في الشرق الأوسط ظهر مخاير للمدينة الإسلامية في تركيا أو في إندونيسيا مثلًا ليس بسبب اختلاف الجنسيات والحضارات السابقة للإسلام فقط ولكن الاختلاف البيئي بكافة معالمها ( مناخ عادات وتقاليد الخ )

ومن هنا نجد أنه يمكننا أن نناقش على انفراد المدينة الإسلامية الهندية والتركية والإيرانية والعربية كل على انفراد ليس هذا فحسب بل توجد أيضًا خلافات في ذات المدينة الواحدة ولكن بالطبع هي خلافات طفيفة .

وسينبدأ موضوعنا اليوم عن **المدن العربية الإسلامية** .

إذا نظرنا إلى المدن العربية الإسلامية نجد أنها مدينة متميزة من حيث الم هيكل التخطيطي إلى جانب التصميم المعماري لبنيتها .

وفي هذا الشأن يظهر سؤال أرى أنه هام وهو : -

هل للمدينة العربية الإسلامية خواص مشتركة ؟

Terms of Islamic

وهل يمكن توضيح علاقة تلك الخصائص بالدين الإسلامي ؟

وللرد على السؤال يجب أن نذكر ولو بایجاز علاقة الإسلام بال المسلمين ومتطلبات الدين الإسلامي من المهندس والمخطط والمصانع .

هذا لأن الإسلام محدد ويوضح منهج الحياة والمعاملات والتجارة والزواج والطلاق والميراث والملابس ودرجة ارتفاع الصوت في المخاطبة إلى جانب علاقة الزوج والاب باسرته .

وتفتهر هذه الامور في تب التاريخ واضحة حيث يرى ان المسلم دائمًا ما يدخل المسجد بقدمه اليمين ويدع الوضوء بزراعته اليمين ويطرق حول الكعبة مبتداً من الجهة اليميني ٠٠٠٠ الخ

### الاتجاه الشرقي والغربي :

لقد مررت الاف السنين على الفراعنه وما زال المصريين وخاصة في صعيد مصر يعتقدون ان الاتجاه الغربي هو اتجاه الموت ولذا عند دفن موتاهم غالباً ما يوجهون رؤسهم تجاه الغرب مما يحاولون قدر المستطاع عدم جعل مدخل دورهم من الاتجاه الغربي ٠

### الاسلام والخصوصية :

باستعراض الميدان التخطيطي الى جانب التصميم المعماري للمدينة الاسلامية نجد ان (١)  
الخصوصية ظهرت واضحة في الامور الآتية :—

(١) تخطيط المدينة : يظهر المسقط الافقى للمدينة الاسلامية مقسماً إلى أحياء سكنية غالباً ما كان يقطن كل منها فئة أو طائفة معينة مثل ( الروم - السودانيين - المغاربة الناسين ) .

(٢) تخطيط الحي : ولم يكتفى المخطط بهذا القدر من الخاصية بل غالباً ما نلاحظ أن تخطيط الحوارى والمسالك الضيق ما كان يشجع على أن يقطن الدور المطلة على بعض تلك المسالك عائلة واحدة وفي بعض الأحيان ظهرت الحرارة المسدودة والتي كانت تغلق بباب ليلاً .  
أى ان المخطط حاول ايجاد خصوصية داخل الاطار الخاص للحي .

(٣) تخطيط وتصميم المنزل : باستعراض المسقط الافقى لاي من دور السكنى التقليدية نلاحظ وجود درجات عديدة من الخاصية مثل :

#### ١ - خصوصية افقية

نلاحظ ان قاعات الاستقبال (الصالون) كانت تنتشر في كافة ارجاء المنزل ويدعو ان توزيعها كان له علاقة بالوطنية الممارسة داخل كل منها . بمعنى وجود بعض القاعات قريب من المدخل والآخر في الوسط ثم قاعة في نهاية المسقط الافقى الامر الذي يجعلنا نعتقد انه كلما زادت صلة الزائر بصاحب الدار كلما سمح له ان يخترق قدر اكبر من حرمة المنزل او قد يكون هذا الترزيح محتملاً على نوعية الوظيفة التي ستمارس داخل القاعة من حيث السرية والأهمية ويؤكد الرأى الاخير اتصال القاعة رقم (١) بسرداب يعودى الى مكان بعيد للهروب .

يبدو أن تلك العلاقات المتشابكة وحدود كل منها أولى خطوط المضم .

بالطبع عندما ظهر الاسلام بتعاليمه الجديدة لم تكن تلك التعاليم غريبة على البيئة التي ظهر فيها بل كانت امتداد وثقل لما هو موجود قبل الاسلام فحرم ما كان يهين كرامه الانسان واكد وشجع ما كان يخدمه ويرتقى به .

اى ان الحضارات السابقة للإسلام كانت بمثابة دور تحضيري ، مثل حضارات مـٰ بين النهرين ووادى النيل .

وبالرجوع الى السؤال الذى طرحته منذ قليل " هل يمكن تحليل المدن الاسلامية من خلال الاسلام ؟ " نجد ان الاسلام فى اركانه الخمس طلب من المسلم معرفة الكثير من الامور الهاامة مثل : معرفة الاتجاه والتوقیت الاتجاه للصلوة والتوقیت للصلوة والحج . وفي هذا الشأن يمكن القول ان ابن يونس اوجد اولى نظريات عمل الساعة الميكانيكية -

ـ كذلك ظهر على ايدى المسلمين اول المراسد فوق جبل المقطم القاهرة .

#### المياء :

المياه من ضروريات المسلم ليتوщиء خمسمرات يوميا .

فظهرت الحمامات العامة - النوافير والسبله منتشرة في المدن الاسلامية .

#### المسجد :

لأن الاسلام شجع صلاة الجمعة لذا ظهرت المساجد منتشرة في المدن بل أصبحت من سماتها الواضحة .

#### الاسلام والنحت (التماثيل )

حرم الاسلام صراحة التجسيد المتعطل فى صنع التمثال فذكر انه في يوم القيمة سيدعى صانعو تلك التمثال لبيت الروح فيها ٠٠ الخ .

ولذا خلت المدن الاسلامية كما خلت الزخارف من كل شئ يتعرض لهده المحرمات واتجررت ميولهم الفنية الى الزخارف النباتية وال الهندسية .

الاتجاه الايمان والايسرا

يحمل الاتجاه الايمان والايسرا لبعض البشر معانى معينة ولكن يعنى معانى مخايرة لل المسلمين العرب بالذات .

فالاتجاه الايمان كان ولايزال يمثل التفائل وان الاشياء التي تقع في الاتجاه الايسرا تعد نوع من انواع التشائم .

وكلنا يعلم أن مدينة المنصور كانت شاذة وغريبة على مفاهيم التخطيط العربية الى جانب احتياجاتهم الوظيفية.

لذا زالت تلك المدينة ولم يتكرر هذا الهيكل مرة اخرى من قريب او بعيد في أي دولة اسلامية  
اما اذا اردنا تقسيم المدينة لمدن اسلامية فمن الارجح تقسيمها الى :

+

ENTIRELY NEW CREATION

ا - مدن اسلامية جديدة

يعنى ان اختيار الموقع والتخطيط والتصميم المعماري اتسم بالطابع الاسلامي ومن امثلة هذه المدن • الفسطاط - العسكر - القطائع - القاهرة - الفاطمية - جدة - بغداد - سامراء

ب - مدن اسلامية مقلاة على بقايا مدن غير اسلامية

ISLAMIC CITIES OF PRE- ISLAMIC FOUNDATION

تلك المدن التي فتحها المسلمين وظلت توعى وظائفها بعد الفتح وبالطبع ادخل المسلمين العديد من التعديلات على تلك المدن ولكن ظلت تخفي العديد من النظم الغير اسلامية .  
وامثله ذلك .

مدينة القدس JERUSALEM فهيكلها التخطيطي رومانى ولكن العديد من بقايا عناصرها Islamic flesh upon pre- islamic skeleton المعمارية اسلامي بمعنى أنها

كذلك مدينة حلب بسوريا تتسم بالتخطيط الهلينسكي ومسجدها الكبير شيد على الاجرور AGORA

وقبل ان نترك هذه التعليقات السريعة على المدينة العربية الاسلامية يجد وينا التنوية  
الى ظاهرة تکاد تكون قد واکبت تلك المدن الاوهى :  
كثرة بناء العواصم : فنجد ان المسلمين شيدوا مدينة الفسطاط ثم العسكر ثم القطائع ثم القاهرة المعزية .

وفي العرق شيدوا سامراء ثم مدينة المنصور ( المنصورية ) الدائرية ثم بغداد .  
فما هو السبب وراء ذلك ؟ ؟

من الواضح تاريخيا تعود الحكام المسلمين لتشيد عواصم جديدة كلما تولى أحد منهم الحكم .  
وفي بعض الاحيان كانت تستمر حياة تلك العواصم وفي البعض الآخر كان لا يكتمل بنائتها في حياة من اختارها ويأتي حاكم جديد فتهجر ويؤسس غيرها وقد ترجع هذه الظاهرة الى احد التوقعات الآتية :

١ - التشاءم من الاقامة في المدن القديمة

بمعنى ان تلك المدن القديمة قد تجلب سوء الحظ .

٢ - الرغبة في البناء والتشيد والتغيير فمن حيث الرغبة في التغيير نجد أن لهذه السعادة جذور بعيدة ترجع إلى قدماء المصريين .

فلقد غيروا ديناتهم بعد زيارة العائلة المقدسة من الفرعونية إلى المسيحية ثم إلى الاسلام  
كذلك غيروا لغتهم من الفرعونية إلى القبطية إلى العربية .

وفي النهاية نطرح سؤال وهو

هل كانت المدينة الاسلامية مدينة حضارية ؟

اذا كنا نعني بالتحضر هو استخدام المياه في ضروريات الحياة اليومية – والخلص منه بعد الاستعمال بطرق سليمة . فنجد الرد على انسؤال في حريات الفسطاط التي احتوت نظام متكامل للصرف الصحي ليس على مستوى المنزل ولكن على الحي .

أى انه بوجود نظام لتدفية المدينة بالمياه التطبيقية الى جانب الصرف الصحي المشار اليه نجد ان المدينة الاسلامية تدخل ضمن نطاق المدن المتحضرة منذ اكثر من الف عام .

## المدخل العلوي لاحياء العمارة الاسلامية

بعد اجراء الدراسات التحليلية الكاملة للمدينة العربية الاسلامية نرى ان المدينة كان بها الكثير من الدروس المستفادة والتي يمكن ان تكون في اعتبار المخطط عند تصميم مدينة جديدة وعلى سبيل المثال نذكر :-

### ١ - تضع المدينة الاسلامية الكافية لتنظيم الهيكل المادي للمدينة

The physical hierarchy governing the location of the different elements of the city .

فمثلاً يوضع المسجد في وسط المدينة وبجواره السوق ثم اماكن لا يوا� الغرباء (لوكاندات) واذا وجدنا هبورة صحية لاعادة استخدام الحمامات العامة توضع بالقرب من هذه المراعا.

٢ - يوضع في الاعتبار ان نجاح المدينة القديمة كان ناتج من نظرية الاحياء او المجاورات سكنية . ويلاحظ عمل دراسات اجتماعية متكاملة لسكن تلك الاحياء بمعنى ان يختار الناس بعضهم والجار يختار جاره افضل يثير من نظام القهر وايواء المجموعات المتنافرة لتعيش مع بعضها ومن هذا التجانس الاجتماعي تظهر الخصوصية والقواعد الغير

Unwritten Regulation

مكتوبة

٣ - عندما تنمو المدينة يزداد عدد الاحياء (المجاورات السكنية ) ويجب الابتعاد عن طريقة تكسس الاحياء لأن هذه النظرية تزيد العلاقة والتجانس الاجتماعي

As the city grew , quarters also increased but never dissolved into the city mass.

٤ - اثبتت التجارب الميدانية لقياس درجات الحرارة ان التخطيط ذو الشوارع الضيقة المظللة انجح من الشوارع العريضة المعرضة للشمس طوال النهار . اى يجب تطوير

Compact Planning

الـ

٥ - يساعد التخطيط التقليدي Compact Planning على خفض تكاليف الخدمات بكافة انواعها (مرافق - موصلات - تدفئة - تكييف)

٦ - اوضحت الدراسات ان الشارع الاسلامي القديم يحوى العديد من النظريات الحديثة مثل :-

(ا) العلاقة القوية بين عرض الشارع وارتفاع الابنية المظللة عليه - هذه العلاقة التي أصبحت متقدمة في غالب المدن الحديثة .

(ب) الشارع المنكر المترعرع هذا افضل من الشارع الذى الانهائية له سوء في استخدامه كشارع تجاري او شارع للمشاة . وذلك اقتصادياً ومناخياً وبصرياً .

**ب - خصوصية راسية:**

ظهرت معظم الدور الاسلامية في مصر منقسمة الى دور أرضي يسمى "سلاملك" للرجال ودور أول يسمى "حراملك" لسيدات الدار.

**ج - خصوصية الرؤية:**

نلاحظ توفر هذا النوع من الخصوصية في المناطق التي لم يظهر بها تعديلات أو تشويهات حديثة . فنجد أنه نادرا ما يواجه شباب أحد الدور شباب الدار المقابلة له . ومن هنا يتطرق بنا الامر الى أن الجار كان يراعي جاره من خلال القوانين الغير مكتوبة.

**د - خصوصية الفناء:**

في النهاية نجد أن المدينة والحي والمنزل قد توفر لهم قدر عال من الخصوصية الا أنه يبدو أن سكان المدينة قد لا حظوا أن أفنية دورهم ستكون مكشوفة بصريا من مكان واحد وهو مازن المساجد لذا يذكر المقريزى أن وظيفة "المؤون" كان تخصص لفاقدى البصر !! ..

**الخلاصة :**

ما سبق يتضمن أن المدينة والحي والشارع والمنزل كانوا جميعا ردا مباشرا للخصوصية التي طلبها الاسلام .

نعود مرة أخرى موضوعنا وهو المدينة الاسلامية وتحليلها حيث يظهر سؤال آخر : هل يمكن تقسيم المدن العربية الاسلامية ؟

بالطبع يمكن تقسيم المدن العربية الاسلامية قبل الرد على هذا السؤال أود أن أذكر باختصار أحد ما يدور داخل بعض جامعات أوروبا بهذا الشأن .

لقد ظهرت في السنوات الاخيرة العديد من الدراسات وخاصة في المانيا الغربية وفرنسا .

وتحصل هذه الدراسات الى أن المدن الاسلامية تنقسم الى مدن مخططة مسبقا ومدن عشوائية SPONTANEOUS

وبالرغم من أن هذه العناوين قد تبدو جذابة ولكنها لا تستند الى أدلة قوية .

ولتصحيح هذه المفاهيم نجد أنه باستعراض الهيكل التخطيطي لكل المدن العربية الاسلامية

الموجودة لدينا نجد أنها مدن تتسم التخطيط العضوي ORGANIC أو عشوائي SPONTANEOUS كما يسميهما الغرب الا مدينة واحدة وهي بغداد الدهيرية (مدينة المنصور) بالعراق

(٨)

(ج) الشارع القديم عادة ما نجد ه مرتب بعناية حول نقط للتوجيه

(Focal Point) الامر الذى لا يجعلنا نفقد مسارنا.

(٧) من الدراسات التي اجريت للدور الاسلامية ذات الفناء الداخلي يتضح الاتى :-

(ا) يلعب الفناء دورا هاما ليس على مستوى تصميم المنزل فقط ولكن في تخطيط

المدينة ككل فهو يوجد التخطيط الصحي  
Healthy Compact Planning

(ب) يمكن ان يحوى المنزل ذو الفناء كثافة سكانية عالية

(ج) يقبل الاضافة لاجزاءه كلما زاد الاحتياج الى فراغات أخرى .

(د) عند تصميم الفراغ المكشوف للفناء وفراغ الشارع تصميمها علميا سليما يلعب الفناء

Dور المنظم لدرجات الحرارة  
Can act as a temperature regulator

لما يمكن المصمم من الحصول على عزل جيد لمواضيع الشارع .

### عزل الصوت والحرارة

(ا) أثبتت التجارب ان القاعة الاسلامية تصميم جيد من حيث زمن الرنين

(ب) تؤكّد القياسات التي أخذت داخل العديد من الدور الاسلامية بالقاهرة ان المنزل

الاسلامي قادر على تخفيض منسوب الضوضاء بنسبة عظيمة .

(ج) عند عمل مقارنة بين درجات الحرارة في المنزل حديث ومنزل تقليدي أثبتت التجارب تفوق

المنزل التقليدي في تسجيل درجات منخفضة معظم اوقات النهار .